

ملخص البحث:

اللغة الشعرية هي لغة منزاحة عن معايير اللغة التواصلية التقريرية وهذا الانزياح هو أهم ما يميز الأعمال الأدبية الفنية وقد سعت الدراسات الأسلوبية الحديثة لإحاطته بالدراسة والبحث عن مكانه الجمالية وميزاته البلاغية، وهو نفس مسعى الدراسات البلاغية في التراث النقدي العربي إذ أثار الانحراف اهتمامهم وشغل تفكيرهم فجاءت بحوثهم الدقيقة حوله تحت مسمى المجاز.

الكلمات المفتاحية:

الانزياح، المجاز، علم الأسلوب، البلاغة العربية، القارئ، الأثر، الشعرية العربية.

Abstract:

Poetic language is a displacement language on the laws of communicative, declarative language, And this shift is the most important characteristic in artistic literary works, modern stylistic studies have sought to study it and search for its aesthetic and his rhetoric, It is the same endeavor of rhetorical studies in the Arab critical heritage, The drift piqued their interest their careful research came about it under the name of metaphor.

Keywords:

Deviation, Metaphor, Stylistic, Arabic rhetoric, Reader, Impact, poétique arabe.

توطئة:

النصوص الأدبية ذات طبيعة زبقيّة متمنعة عن السيطرة والخضوع للعلمنة الدقيقة، وهذا ما يفسّر التنوع في المناهج النقدية الرامية لتحليل الآثار الأدبية، والتي انبثقت عن التيار البنيوي الذي أسّسه عالم اللغة فريديناند دي سوسير **Ferdinand de Saussure** ثم تفرد كل منهج بآلياته الخاصة، وبالنظر إلى المنهج الأسلوبي نجده يستقي آلياته من باقي العلوم الأدبية كالنقد والبلاغة واللسانيات.

يستطيع الباحث أن يلحظ الاشتراك والتشاكل القائم بين البلاغة العربية والمناهج النقدية الحديثة، وبالحدّث عن البلاغة العربية لا يمكننا إغفال نظرية النظم التي يعود الفضل في إرساء دعائمها إلى عبد القاهر الجرجاني، "نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني" قد قضت على الكثير من المفاهيم الخاطئة التي سادت تفكيرنا النقدي العربي قبل عبد القاهر، وأضافت إضافات جوهرية تعتبر في مجموعها أساساً صالحاً لنقد الشعر بعامة وبيان إعجاز القرآن بخاصة، وإذا كان في تاريخ النقد العربي شيء يقارب ما انتهى إليه الفكر الحديث في الدراسات النقدية والبلاغية فهو منهج عبد القاهر¹، وقبل أن تنضج هذه النظرية وتكتمل على يد الجرجاني كانت مجرد آراء وإشارات نقدية وبلاغية مبثوثة في مؤلفات سابقه.

اعتمد عبد القاهر الجرجاني في تحليله لعينات شعرية ونصوص قرآنية على بعض الأدوات الإجرائية التي تكاد تنطبق تماماً مع الآليات التحليلية المعتمدة في المناهج النقدية الحديثة في تحليل الأدب، وخاصة النظرية البنائية التي أحدثت ثورة في مجال النقد الأدبي فكانت البؤرة التي انبثقت عنها المناهج النسقية.

إذ "يجدر بنا ربط النظم وثيقاً بنظرية البنائية في النقد الأدبي الحديث، فالنظم أسلوب خاص في توزيع الوحدات اللغوية بعد الخضوع لشروط آليات التركيب التحويلي، واستجابة لطريقة ترتيب المعاني في النفس، واختيار مواضع الكلام وهو حيّز واسع وفضاء رحب يلبي جميع النزوعات التعبيرية بحيث تستثمر

¹ - محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعرفة الجامعية، 2004، ص 277.

أساليب انتظام الوحدات اللغوية وفق وضعياتٍ نظميةٍ تستوعب كل الاحتمالات البنائية²، فنظرية النظم استوفت الشروط التي تقوم عليها البنيوية الحديثة إذ قدّم الجرجاني نماذج ناضجة في نقد الأدب تتعلّق بالأسلوب ومميّزاته ومكامن الجمالية فيه، وإذا كان عبد القاهر الجرجاني قدّم عملاً جديداً في البلاغة العربية فإنّ هذا العمل يعدّ مفهوماً قريباً من الأسلوبية في المناهج الغربية الحديثة مع بعض الفروقات في المصطلحات والمسميات التي تعبّر عن الدلالة نفسها.

ومن القضايا النقدية المشتركة بين البلاغة العربية وبين علم الأسلوب نجد خاصية الانزياح والتي يمكن ملاحظة مدى التوافق بينهما في تحديد ميزات الجمالية في السياقات الإبداعية الأدبية. فقد اهتم البلاغيون العرب بشعرية اللغة وجعلوا "غاية الكلام الشعري -أو الفني عموماً- تتعدى وضع اللغة المعيارية إلى معان جديدة تحدث في حال تؤلف وحدات اللغة ضرباً خاصاً من التأليف ويعتمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب..³ أي طريقة نظم الكلام فيها.

تتجذّر خاصية الانحراف في النقد العربي القديم والنقد الغربي على حدّ سواء، وبالنظر إلى أثرها الجمالي وميزاتها البلاغية جعلت البؤرة الإبداعية في النصوص الفنية وأثارت النقاد للبحث فيها وترصدها والإشارة الواضحة لهذا الموضوع نجدها في قول الجاحظ "... لأنّ الشّيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان أطرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبعد..⁴ فمدار الإبداع إنّما يتوقّف على مدى الخرق ودرجة كسر المألوف.

يوحي الطرح النقدي الذي أثاره الجاحظ بتنبّه الفكر البلاغي العربي مبكراً لقضية الانحراف، كما أورد هذا المفهوم الجرجاني وربطه بالمجاز "صور المعاني لا تتغيّر بنقلها من لفظٍ إلى لفظٍ حتى يكون هناك اتساعٌ ومجازٌ، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معانٍ

² - ينظر؛ طاطة بن قرماز، نظرية النظم في ضوء الاتجاهات الأسلوبية المعاصرة دلائل الإعجاز نموذجاً، رسالة دكتوراه، السنة الجامعية 2010-2011، ص 6/7.

³ - طراد الكبيسي، في الشعرية العربية، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 1998، ص 49.

⁴ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ص 90/89.

آخر⁵ والمقصود من قول الجرجاني هو انزياح الألفاظ عن معانيها المعجمية حتى لا يكون الكلام مباشراً تقريرياً وأنّ هذا الخرق أو الانحراف هو ما يشكّل الجمالية.

ولا يناقض تصوّر الأسلوبية للانحراف مفهومه لدى البلاغيين العرب فهي تعتبره سمة من سمات تميّز الأسلوب وذلك من خلال الخرق الذي يحدثه المبدع في كلامه متجاوزاً الأنماط المألوفة وفي هذا السياق: "...بلور جاكبسون Jakobson نظريته في تعريف الأسلوب بكونه إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع، لأنّ ما يعنيه جاكبسون Jakobson هنا هو أنّ اللغة الشعرية لها القدرة على إيجاد وخلق سلسلة من العلاقات التركيبية تماثل العلاقات التي تقوم بين الأجزاء المنفصلة في مجموعة لغوية استبدالية"، فاستغلال المبدع للبدائل الأسلوبية التي تتيحها اللغة واستعمال هذه البدائل المتاحة بطريقةٍ مخصوصةٍ هو الأمر الكفيل بتشكيل فرادة الأسلوب.

ومن الإشارات المبكرة للانزياح ووظائفه نجد قول الجرجاني: "إذ من المركز في الطّبع أنّ الشّيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى، وبالميزة أولى فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أظن وأشرف..."⁶، فصياغة المعنى الظاهر بطريقةٍ توحى بوجود معنى خفيّ يحتاج إلى تفسيرٍ وتأويلٍ هو ما يحقق التشويق ومتعة القراءة واكتشاف الدلالات الكامنة في ثنايا النصّوص. وقد قسّم الانزياح إلى نوعين الأول تركيبّي والثاني معنويّ.

أ/ الانزياح التركيبي:

إنّ التلاعب بمواقع الألفاظ في الجملة وفق خاصية التقديم والتأخير والذكر والحذف... يعد انحرافاً عن المعيار المألوف للكلام والكتابة، وإنّ هذا الانحراف يحقق الجمالية ما لم يخلّ بالصحة النحوية للعبارة وشرط ألا يحدث الغموض المشوّه للقراءة والتأويل "وإنّما تكون المزيّة ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً بعدمهما إذا أنت تركته للثاني" وهذا راجع للكفاءة اللغوية للمبدع الذي يتحكّم

⁵ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1981، ص265.

⁶ - ينظر؛ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص118.

في كيفية إبلاغ الرسالة بطريقة يعزف فيها عن الاعتماد على الشفرة مألوفة الاستعمال لدى عامة المتكلمين باللغة نفسها.

1/ التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير استراتيجيتان اعتمدهما المبدعون بغرض كسر الرتابة التي تعودت عليها أذن القارئ فتثير فيه الدهشة والغربة لتجعله بذلك يتفاعل مع النص يقول الجرجاني "ولا تزال ترى شعراً يروك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان⁷" وهذا التحويل في أماكن الألفاظ يحدث الجمالية في الكلام بفرضه على المتلقي التركيز وبذل الجهد في ولوج معنى النص.

استطاع الجرجاني أن يسوق لنا أمثلة دقيقة عن التقديم والتأخير وردت في القرآن الكريم الذي يعد أرقى ما يمثل فصاحة اللسان العربي، "ومثال ذلك قوله تعالى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ"⁸ ليس بخاف أن لتقديم الشركاء حسناً وروعةً ومأخذاً من القلوب، أنت لا تجد شيئاً منه إن أنت أحرقت فقلت: "وَجَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاءَ لِلَّهِ" وأنت ترى حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر، إلى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل. ولا تصير النفس به إلى حاصل. والسبب هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيل إليه مع التأخير⁹ فالعبرة القرآنية تحوي انزياحاً في التركيب لا يجاريه أي تركيب آخر مهما بلغت محاولات التمسح على منوالها وإذا تأملنا نجد أن قيمتها البلاغية إنما ترجع إلى التحويل في مواقع عناصر العبارة التحوية أي إلى التقديم والتأخير.

2/ الحذف والذكر:

في ثنايا القوانين التحوية للغة ما هناك مساحة حرية تحوّلها هذه اللغة لمستعملها يمكنه من خلالها تطبيق خياراته الذاتية وأسلوبه الخاص في استعمالها كفضية الحذف والذكر وهي في أقرب مفهوم لها "أن

⁷ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 222.

⁸ - سورة الأنعام الآية 100.

⁹ - ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 286.

يستلزم أحد العنصرين التحليليين التحويين عنصراً آخر فإن هذا الآخر قد يدلّ عليه بمبنى وجودي على سبيل الذكر أو يدلّ عليه بمبنى عدمي على سبيل الاستتار أو الحذف¹⁰ مع الحرص عند التأليف على سلامة المعنى المقصود.

يشرك المؤلف المتلقي في بناء نصّه بل ويتيح له إمكانية إعادة إنتاج النص من خلال فتح المجال أمام القارئ للتخمين وملء البياضات النصية بوجهه "والمعنى الحقيقي للنص هو فراغه"¹¹، إذ تعدّ ظاهرة الحذف من جملة ما يميّز تراكيب الكلام بلاغياً وأسلوبياً فنجد المنشئين يحذفون حرفاً أو كلمة أو جملة مع المحافظة على الدلالة من خلال الإبقاء على قرينة تدلّ على العنصر المحذوف.

ما يجعل استراتيجية الحذف من مرتكزات البحث البلاغي والأسلوبي هو كونها من معايير جودة التراكيب؛ "الحذف والذكر ظاهرتان متقابلتان تشكّلان متوازيتين مجالاً من مجالات التخيّر التحوي في نظر البلاغيين، ونعني بتوازيهما أنّ مزية كلّ منهما لا تكون إلّا إذا كان التركيب الذي ترد فيه يحتمل الأخرى، الأمر الذي يسوّغ المقارنة التي تبرز تلك المزية الماثلة في تخيّر الأولى دون الثانية"¹²، فإذا كان القول لا يحتمل إلّا وجهاً واحداً إمّا الذكر وإمّا الحذف فلا فضل ولا مزية لأنّ المتكلم يوردها مجبراً فالأسلوب لا يتجلى في ما تفرضه القواعد على المتكلم بل في تلك المواقف التي يكون فيها حرّاً في انتقاء أكثر الأساليب تميّزاً وتأثيراً.

ما يحققه الحذف والتقدير من مزية في الكلام لا ينفي ما للذكر من مزايا استرعت اهتمام البلاغيين وهذا النوع من الذكر "هو ذكر ما يُحتمل حذفه لوجود القرينة أو القرائن الدالة عليه في السياق، لأنّ الذكر في تلك الحال يعد إثارة لإحدى إمكانيّتين يتجهما نظام اللغة في الموقع الذي يشغله، الأمر الذي يثير الانتباه، ويدعو إلى التساؤل عن سرّ هذا الإيثار وفائدته في سياقه الخاص"¹³، والبحث عن القيمة

10 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1994، ص217.

11 - محمد بوعزة، استراتيجية التأويل من النصبة إلى التفكيكية، دار الأمان، المغرب، ط2، 2011، ص70.

12 - حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2003، ص183.

13 - نفسه، ص188/189.

الفنية التي يحدثها ذكر ما يجوز حذفه وما لهذا الذكر من أثرٍ في التركيب من المباحث التي تعالجها نظرية النظم والأسلوبية.

استبطن الزمخشري تحلي هذه الظاهرة الفنية في القرآن الكريم في قوله تعالى مثلاً؛ ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ 69 إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ 70 قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ 71﴾¹⁴ ولو قالوا أصناماً لصحّ لهم السكوت مع تحقق الفائدة من الإجابة على السؤال ولكنهم استطردوا لغرضٍ شرحه الزمخشري: "فكان القياس أن يقولوا أصناماً، كقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو، هؤلاء قد جاءوا بقصة أمرهم كاملةً كالمبتهجين بها والمفتخرين"¹⁵، فعبادة الأصنام شكّلت لهم مفخرةً يتباهون بها.

كلّ من التقديم والتأخير والحذف والذكر من الخصائص التركيبية التي درستها البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة واعتبرتها من الانزياحات النظمية التي يلجأ إليها المؤلفين أثناء صياغة نصوصهم فتضفي عليها من الجمالية والمزية الشيء الكثير.

ب/ الانزياح الدلالي:

الكلام عند الجرجاني على ضربين: "ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيدٍ مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيدٌ...، وضربٌ آخرٌ أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالةً ثانيةً تصل بها إلى الغرض، وإذا عرفت هذه الجملة، فهنا عبارةٌ مختصرةٌ، وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى"¹⁶، أي هناك طريقتان لإيصال المعنى أما الأولى فهي الطريقة المباشرة التي يتطابق فيها المدلول مع الدال المعجمي، وأما الثانية فتكمن في استعمال المفردات فناً بطريقة مجازية تخرجها عن إطارها المعجمي المتواضع عليه لإدراجها في دلالة مغايرة تسعى لإيصال المعنى بطريقة غير مباشرة.

14 - سورة الشعراء، الآيات 69/70/71.

15 - ينظر؛ الزمخشري، الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407هـ، ص 317

16 - ينظر؛ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 262/ 263.

وفي هذا الطرح يتلاقى تفكير عبد القاهر الجرجاني مع الأسلوبية الحديثة، فموضوع الدراسة الأسلوبية ليس هو الكلام التقريري الذي تؤدي ألفاظه الدلالة المباشرة على معانيه، وإنما الكلام الفني الذي تنحرف ألفاظه عن التعبير على المعاني المعجمية لتؤدي معاني مجازية.

يعتبر الجرجاني المجاز انحرافاً عن القاعدة النحوية ويطلق معنى المعنى على الانزياحات الدلالية للكلام: "المقصود بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"¹⁷، ويتمثل الانزياح الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني في المجاز الكامن في الاستعارة والكناية والتّمثيل.

وهو ما يصرّح به في قوله "... كلام لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتّمثيل"¹⁸، وخصّص لهذه العناصر الأبواب والفصول في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

تبحث الأسلوبية عن الخصائص الفنية للانزياح في الأعمال الأدبية وتدرج في إطاره "كل ما هو مخالف للاستعمال الدارج"¹⁹، وهذه المخالفة لما هو متداول تتجلى لدى الأدباء في خطاباتهم الفنية "لغة الشعر هي غير لغة التخاطب، وللشاعر الحق في أن يستعمل لغة خاصة بعيدة عن اللغة الشائعة، فله الحق أن يختار كلمات ويبتدع مجازات وضروب تمثيل، وبالجملية فلغة الشعر لا هي غريبة مستغلقة ولا هي مبتذلة دارجة"²⁰، وتقاس جمالية التأليف بدرجة الخرق للمألوف وإثارة الغرابة في أذن السامع بشرط عدم المبالغة في الغموض والغرابة.

يسعى المبدعون إلى مخالفة الأنظمة السائدة من التأليف وقد يكون ذلك على شكل الجمع بين الألفاظ المتناقضة في عبارة واحدة مع الحرص على تحقيق دلالة معينة ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا

17 - وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها في الدراسات العلمية، دار الفكر، ط1، 2008، ص172.

18 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص263.

19 - ينظر؛ أرسطو طاليس، فن الشعر، تر؛ عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1953، ص61.

20 - ينظر؛ نفسه، ص61.

باللجوء إلى المجازات، فخرق المعتاد من التراكيب هو "أن تركب ألفاظاً لا تتفق مع بعضها البعض تؤدي معنى صحيحاً وهذا لا يتأتى بتأليف ألفاظ ذات معانٍ حقيقية، بل يتأتى باستعمال المجازات"²¹، وهذه المجازات تثير الانتباه لأنه كي يصل القارئ إلى معانيها عليه أن يتجاوز بنيتها السطحية ليصل إلى بنيتها العميقة ليحيطها بفهمه وتفسيره.

أساس الانزياح قائم على النقل "كل لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز"²² أي جعل الألفاظ لا تعبّر عن معانيها المعجمية التي وُضعت لها في الأساس، والتعبير بها عن معانٍ أخرى مجازية تُفهم من سياق القول.

تتفق كل من الأسلوبية الحديثة والبلاغة العربية القديمة على ما يحققه المجاز من جمالية إذ يرى عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: "أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزّة وفضلاً، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة"²³، وما نلاحظه على الأسلوبية أنّها تعتبر الانزياحات الدلالية من جماليات القول وتترصدها بالبحث والتحليل تحت مسمى المؤشرات الأسلوبية.

ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك في موضع آخر من أسرار البلاغة إذ يقول: "يفخّم المعنى بالتمثيل وينبل، ويشرف ويكمل، فأول ذلك وأظهره أنّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأثيرها بصريح بعد مكث..."²⁴ وهذه الجمالية هي غاية الأديب وما يتوق إليه المتلقي. ويتجلى الانزياح الدلالي في نظرية النظم في عناصر ثلاثة هي الاستعارة والكناية والتشبيه:

1/ الاستعارة:

هي انحراف دلالة الكلمة عن معناها المعجمي لتفيد معنى آخر مجازياً؛ "فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجرّبه عليه"²⁵

21 - أرسطو طاليس، فن الشعر، ص 61.

22 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

23 - نفسه، ص 70.

24 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 102.

25 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 67.

لما لذلك من تقريبٍ للصورة وتقوية المعنى. "كل استعارة حسنة فهي توجب بياناً لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كانت تقوم مقامه الحقيقة، كانت أولى به ولم تجز الاستعارة"²⁶، فالكاتب إنما يلجأ إلى الاستعارات ليحقق ما لا يمكن تحقيقه باعتماد الكلام المباشر دلاليًا وفنيًا.

وكذلك تعدّ الاستعارة -وهي من أبواب الانزياح- ظاهرةً فنيّةً أسلوبيةً يخرج فيها المبدع عن الأنماط السائدة ويتجاوز من خلالها التعبيرات المألوفة فيشكل بذلك أسلوبه الخاص وبصمته الفنية في التأليف.

تتجلى قيمة الاستعارة فيما تحقّقه من تأثير؛ "فهو ضربٌ من التشبيه، وغطّ من التمثيل، والتشبيه قياسٌ، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان"²⁷، فهي من الانزياح الدلالي الذي يخاطب والوجدان، من خلال المعاني لا من خلال الجرس الموسيقي للألفاظ.

تعمل الاستعارة من المنظور الأسلوبي في النصوص الأدبية مباشرة على توليد الدلالات الإيحائية وتغيير التواتر النمطي لشبكات المعاني، فشحن النصّ الفني من قبل المؤلف بالمشيرات النصية والمنمّقات البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية وما تحدّثه من تخيل وتجسيم وتشخيص أي ما يشكّل الصورة وما تحدّثه من تحولات في بنية النصّ المعيارية تجعل المتلقي يتدبر هذه التحولات ويفكّ شفرتها ويتعمّق فيها بالتأويل والتفسير. ومدار الأمر هنا على الاستعارة المقصودة أو التخيل الذي يعتمد إلى تحسين الكلام ويحقق الانسجام.

2/ الكناية:

من الصور البيانية وهي أن؛ "لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدلّ اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك،

26 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ص86.

27 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص15.

كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضاف²⁸ وهي من الإجراءات الأسلوبية التي يستخدمها الأدباء في إثراء نصوصهم بالقيم الفنية والجمالية.

يشرح عبد القاهر الجرجاني الكناية ومدلولاتها بقوله: "والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به إليه، ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم: هو طويل التجاد يريدون طويل القامة"²⁹ فالكناية والتعريض من أبرز الإجراءات الفنية المحسنة للأسلوب.

3/التشبيه:

أفرد له الجرجاني أبواباً في كتبه يقول: "يصفون كلاماً قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى، فكّى وعرض ومثّل واستعار ثمّ أحسن في ذلك كلّ وأصاب... وأن المعرض وما في معناه، ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دلّت فيه على المعنى الثاني"³⁰، أي إنّه التعبير عن المعاني بطرق غير مباشرة.

يقرب التشبيه المفاهيم ويلبس الأشياء صفات بعضها: "التشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكماً من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجّة حكم التور"³¹، وهذه بعض الأمثلة الشائعة في التشبيهات التي على كثرة تداولها باتت عادية مألوفاً.

تعد الاستعارة والكناية والتشبيه مثيرات أسلوبية يسعى الناقد الأسلوبي لرصدها وإحصائها والبحث عن دلالاتها الكامنة وإيجاءاتها وأثرها في الكلام. والعمل الأدبي قائم على ذلك.

يهدف الأديب من خلال الانزياح إلى إثارة الدهشة لدى المتلقي وذلك بخرق أفق توقّعه ويمثّل لذلك ريفاتير "وجاش ثمّ جاش، وأيضاً بغير هجوع جاش البحر الأسود، كما لو أنّ أمواجه المترامية

28 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص262.

29 - نفسه، ص66.

30 - نفسه، ص263.

31 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص68.

كانت وجدانا³² فإنّ توالي الأفعال في التركيب بهذه الطريقة لابدّ أن يحدث خرقاً لأفق توقّع أغلب القراء، "لم تكن المزية الشعرية في ما يقوله الشاعر أو في ما يثبت، وإنما كانت في طريقة الإثبات... وتكمن شعرية هذه الطريقة في مدى تأثيرها على السامع"³³، فعامل التأثير ضروري لتحقيق جمالية الإسماع والإطراب.

يتقاطع تفكير عبد القاهر الجرجانيّ مع تفكير الأسلوبيين المعاصرين في مجمل القضايا الأدبيّة من اختيار تركيبٍ والانزياح بنوعيه التركيبي المتمثل في التقديم والتأخير والحذف والذكر، وكذا الانزياح الدلالي والذي درسه الجرجاني تحت مُسمّى المجاز المتمثل في الاستعارة والكناية والتشبيه.

لا ينكر الدارسون اليوم ما للبلاغة العربيّة من فضلٍ في السّاحة الأدبيّة العالميّة، إذ نلّف الباحثين ينبشون النصوص النّقديّة البلاغيّة والمؤلّفات الأدبيّة التّراثيّة لاستكناه مضامينها، فيقعون في الغالب على قضايا تُعدّ اليوم الدّعائم الأساسيّة في الدّراسات الجامعيّة والبحوث الأكاديميّة في مجال الأدب والنّقد العالميّين وليس العربيّين فحسب.

مراجع البحث:

1- القرآن الكريم.

- 2- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعرفة الجامعية، 2004.
- 3- طاطة بن قرماز، نظرية النظم في ضوء الاتجاهات الأسلوبية المعاصرة دلائل الإعجاز نموذجاً، رسالة دكتوراه، السنة الجامعية 2010-2011.
- 4- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.
- 5- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1981.
- 6- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1988.

³² - ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة حميد حميداني، منشورات دراسات سال، دار النجاح الجديدة، ط1، 1993، ص60.

³³ - أدونيس، الشعرية العربية، دار الأدب، بيروت، ط2، 1989، ص23.

- 7- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1994.
- 8- محمد بوعزة، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، دار الأمان، المغرب، ط2، 2011.
- 9- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2003.
- 10- الزمخشري، الكشف عن غوامض حقائق التنزيل، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- 11- وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها في الدراسات العلمية، دار الفكر، ط1، 2008.
- 12- أرسطو طاليس، فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1953.
- 13- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام.
- 14- ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة حميد حميداني، منشورات دراسات سال، دار النجاح الجديدة، ط1، 1993.
- 15- طراد الكبيسي، في الشعرية العربية، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 1998.
- 16- أدونيس، الشعرية العربية، دار الأدب، بيروت، ط2، 1989.